

كتاب قصة الإيمان

بين الفلسفة والعالم
والقرآن

عرض ودراسة
الدكتور عبد الرحمن عميرة

(لسة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن) لفضية الأستاذ الشيخ تديم الجسر مفتي للسلطن ولبنان الأسبق . يعتبر من أصق الكتب التي أخرجتها المكتبة الإسلامية في السنوات الأخيرة ، ومن أكثرها جدية ، وهو كتاب يوحى للقارئ عند النظرة الفاحصة الإنسانية أن مؤلفه كاتب متمكن زاول الكتابة من فترة طويلة ، ومفكر أصيل يحترم عقله وعقول الآخرين ، وباحث منظم يكتب لطيفة خاصة من المثقفين ، ومسلم عرف الطريق إلى كتاب ربه فعاشه معاشة جادة وفارقة لمنعكف على المكتبة العربية فقط جواهرها ، واستوعبها استيعاب الناقد البصير ، وأحب دبله فربط على حدوده ، يلذ عنه هجمات المخطئين ويلطف عن حياضه حيث الملحدون .

والمؤلف لم يكتف بقراءة المكتبة العربية والإسلامية ، بل مكف على إنتاج الأجانب من فلاسفة ومفكرين فقراء بلغاتهم ، ولعمد كساً يتخص الجواهرجي الأبحار الكريمة . فمر على ممتها مرور الأكرمين وأشار إلى ممتها إشارة العارفين .

وكتابه الذي بين أيدينا - يتعرض لقضية الصراع الوهمي بين العلم والدين ويناقش بموضوعية قواعد المؤيدين وحجج الممارضين بالحوار الهادف الذي يعتمد على أولى ماوصل إليه العقل البشري من أساليب المحااجة والتوجيه من استقراء واستنباط وحوار .

ويرمز المؤلف لهذا الجيل ، الذي تتلفقه الأفكار المتضاربة ، وتضلل سلوكه التيارات المتعركة بشاب تربى تربية دينية ، وأمضى طفولته الناعمة ، وسباء الطري ، في حضنة والد قتي ، ثم التحق بجامعة أمرها موكول إلى نفر من العلماء الجامدين الذين عاشوا حياتهم يحترسون الحواشي والذبول ، ويقررون على طلابهم الطلاسم والألفاظ يستمدون من صفاء القرآن ومبانيه للنسبة النبوية الكريمة .

والطالب يملك بين جنبه نفسا طلمة ، وعقلا وثابا إلى المعرفة ، وكان يريد أن يعرف سر الوجود وكنه العلق ، وحقيقة الحياة ، فالتى بين أيديهم بما يريد فلم يلق إلا الزجر والسد والوعيد .

ولما يشى منهم مضى يلتبس الجواب عن أسئلته في كتب الفلاسفة
والأقدمين فلم تزد هذه الكتب إلا حيرة وضلالا ، وبلغت المحنة ذروتها عندما
طرد من الجامعة ، وفر منه الغلان وتعاشاه الأقران •

وعلم والده بما يعانيه ابنه فاشفق عليه ، وطلب له من ربه أن يلهمه
الهدى ويرشده الى الحق وقال ' فيما قال :

(لقد مررت قبلك يا بني بما تمر به الآن ، ولقد مرارة الشك ووطأة
الحيرة ، ثم أراد الله بي خيرا ، فكانت تجاني بكلمة سمعتها من شيعي العالم
الفقيه (أبو النور الموزون السمرقندي)

وهكذا يرمز المؤلف بالشيخ الموزون عن العلماء العظامين الذين في
مقدورهم أن يوجهوا الشباب ويرشدوه ، ويباعدوا بينه وبين لهيب الشك
ووقدة الالتام ••

ويجمع المؤلف في كتابه بين الشاب العاثر وشيخه الموزون في مكان بعيد
متطرف ، في منأى عن ضجيج المدينة الزائفة وتأثيرات أضوائها الباهرة
وتشكيك وسائل إعلامها العائنة •

وهكذا يلتقي في المكان الهاديء - بجوار أحد بيوت الله - القديم
والجديد والايامن والشك ، والضياح والاستقرار ، ليعلا في النهاية معا الى
مرقا الايمان ، وشاطئ المعرفة ، حيث ينضج عقل الشاب بما قدمه له شيخه
من العلم ، فعرف ربه وتكشفت بصيرته عن عجائب خلق الله في الكون
والحياة •

والكتاب مقسم الى عدة مباحث يتناول كل واحد منها موضوعا من
الموضوعات وفكرة ترتبط بما يعمدها ارتباط الاثر بالمؤثر ، حتى ظهر الكتاب
وكأنه وحدة واحدة تناولت خصائص الايمان ومبحث الوجود ، وأسرار
الكون •

وسنحاول - بمشيئة الله - أن نقدم بين يدي القارئ صورة عن هذا
الكتاب - نرجو من الله سبحانه وتعالى - أن تكون مغيرة وواقية لمحتوياته

وأن تكون في نفس الوقت داعية لابنائنا من المفكرين والباحثين للتعرف عليه واقتنائه والزود من معارفه التي وصفها بعضهم بأنها قفاز قوية قادرة على تهليم رأس الالحاد .

أما عن المبحث الاول : فإن المؤلف يستعرض فيه آراء المفكرين القدماء والمحدثين من مبحث اللاهوتية ، باعتبار أن فكرة وجود الله الحق لم تغل منها الأرض منذ صار الإنسان انسانا يمتاز بالعقل والفكر .

ويقدم المؤلف آراء فلاسفة اليونان وفكرتهم - اليبسانية - من مبحث الجورود بمباراة منتقاة وأسلوب علمي ميسر ، بعيدا عن تهويمات المفكرين وتعميدات المتفلسفين المتوسمين .

٤ (اكنونفيس) - في رأيه - يسو على أهل عصره - عندما نبذ أساطير اليونان القائلة بفكرة التيسيد البشري للاله - وسفر من الهتهم التي تأكل وتشرب وتلد وتموت يقول :

(ان الناس هم الذين اخترعوا الآلهة وتصوروها بمثل هيتاتهم ، ولو كانت الثيران أو الاسود أو الجياد تعرف التصوير لرسمت لنا الآلهة على أشكالها ثورا أو أسدا أو جوادا كلا ثم كلا انه لا يوجد غير اله واحد ، هو أرفع الموجودات ، ليس مركبا على هيتتنا ولا يفكر مثل تفكيرنا بل كله بصر وكله سمع ، وكله فكر)

والذا كان (اكنونفيس) يقول هذا فإن (بارمينيس) يقول عن الوجود بأنه أزلي لا يتغير ولا يفتي ، وليس له ماض ولا مستقبل بل هو يستوعب الأزل والأبد ، وهو لا يتحرك ولا يتجزأ لأن الحركة صورة للتحول وهو كامل وليس وراءه وجود آخر)

وجاء بعده (اناكسا غورث) فزاد مما قاله الاوائل خطوة جديدة بقوله :

(من المستحيل على قوة عمياء أن تبدع هذا الجمال وهذا النظام اللذين يتجليان في هذا العالم لأن القوة العمياء لا تنتج الا الفوضى فالبدي يحرك المادة هو عقل رشيد بصير حكيم)

ثم يستعرض من المؤلف أقوال الفسطاطيين ويقدم لنا رد سقراط على
أخطائهم وتخطيهم . ويتناول (مثل) تلميذه (أفلاطون) بوصفها معان
سجدة وأن عناصر وجودها من نفسها لا من شيء خارج عنها وأنها أساس
الاشياء ولا تعتمد على شيء بل غيرها يعتمد عليها وهي دائمة وثابتة وأبدية
وساكنة وكاملة . ولا بعدها زمان ولا مكان)

ويمتدح على هذا الكلام بقوله :

(ان أفلاطون كان مؤمنا بوجود الله ومن القائلين بأنه الخالق للعالم
والدبر لأسره . ويقدم على ذلك براهين أحصا برهان النظام فيقول :

(ان العالم آية في الجمال والنظام . ولا يمكن أبدا أن يكون هذا نتيجة
عمل اتفاقيه بل هو صنع خالق كامل تولى الغير ورتب كل شيء من قصد
وحكمة)

المبحث الثاني : يتحدث فيه عن موقف الفلاسفة المسلمين من قضية
واجب الوجود فيصنفهم بأنهم جمعو إلى إيمان الوحي الصادق ، إيمان العقل
السليم . ولكنهم مع هذا أخذوا بقررات الأفلاطونية الحديثة ونفيا لاتهم
في مراتب الخلق وسائطه واختلط عليهم الأمر فعصبوها من كلام أرسطو
وحال أجلاهم للمعلم الأول دون تنقيصها ، لذلك كان على من يكتب عن
هؤلاء ويميز بين ما فيها من الحق النير والباطل المظلم . وهذا سالم يفضله
الذين كتبوا عنهم أما عجزا عن التمييز أو زهدا في نصره الإيمان أو كيدا
للحق)

ثم يفرده حديثا مطسولا للدفاع عن الرازي ويصفه بأنه من أصديق
المؤمنين ويستدل على ذلك بقوله :

(ان وجود العقل في بعض الكائنات الحية وقدرتها على اتقان الصنعة
يدل على وجود الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه)

ثم يتكلم عن الفارابي ويقدم بين يدي القارئ أدلتيه في دفاعه عن

العقل باثبات أحكامه الأولية البديهية التي تعتمد على البراهين كلها واتخذ
من هذا طريقة إلى اثبات وجود الله بقوله :

(إن الموجودات على ضربين أحدهما (ممكن الوجود) والثاني
(واجب الوجود) وممكن الوجود إذا فرض غير موجود لم يلزم عنه محال
وليس يفتى بوجوده عن علته ، وإذا وجد صار واجب الوجود بغيره لا بذاته
أما واجب الوجود - ففتى فرض غير موجود لزم عنه محال - ولا حلة لوجوده
ولا يجوز كون وجوده بغيره ، والأشياء (الممكنة) لا يجوز أن تمر بلا نهاية
في كونها حلة ومعلولا ولا يجوز كونها على سبيل الدور - بل لابد من انتهائها
إلى شيء واجب هو الموجود الأول الذي هو السبب الأول لوجود الأشياء وهو
الله تعالى)

ويترك الفارابي وأدلة ليتكلم من أين سينا ويدخل مباشرة في عرض
أدلة في المعرفة وسائلها ويتناول أدلته على اثبات وجود الله سبحانه وتعالى
بالعرض والتعليل ويقدم نصوصه التي ذكرها في تهلية هذا الدليل بقوله :

إنه لا ينبغي أن نلتزم البرهان على إثبات الباري بشيء من مخلوقاته
بل ينبغي أن نستطيع من إمكان ما هو موجود - وما يجوز في العقل وجوده
أولا (واجب الوجود) وهذا العالم - ممكن - يحتاج إلى حلة تفرجه للوجود
لأن وجوده ليس من ذاته وبهذا لا تحتاج في إثبات الأول إلى تأمل بفسير نفس
الموجود من غير أن نحتاج للاستدلال عليه بشيء من مخلوقاته - وإن كان ذلك
دليلا عليه إلا أن الاستدلال الأول أوثق وأشرف - والاستدلالان كلاهما موجودان
في قوله تعالى :

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم
يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) (١)

فإذا انتهى المؤلف من عرض أدلة أين سينا في إثبات الوجود - تناول
أين خلدون وأقواله في علم الاجتماع وركز على نظرية المعرفة عندة وبسطها
بسطا وافيا ثم يقدم اعتراف أين خلدون بمجز العقل عن ادراك كنه الأشياء
بذاتها بقوله :

(ولا تثقن بما يزعم لك الفكر ، من أنه مقتدر على الاحاطة بالكائنات
 وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله ، وسفه رأيك في ذلك ، واعلم أن
 الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه ، منحصر في مداركه لا يمتدوها والامر في
 نفسه بخلاف ذلك والحق وراءه) (٢)

يقول ذلك ثم يخشى أن يفهم من كلامه اتهام العقل بالعجز المطلق الذي
 قال به الشكاك وأهل السفسطة فيبادر الى القول :

(وليس ذلك بقادر في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح وأحكامه
 يقينية لا كذب فيها ، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والأخرى
 وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره ، فإن ذلك طمع
 في محال ، ومثال ذلك : مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب قطع أن
 يزن به الجبال ، وهذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق ولكن
 العقل قد يقف عنده ولا يتمدى طوره ، حتى يكون له أن يحيط بالله
 وصفاته) (٣)

أما رأيه في الوجود فيعتمد فيه على الدليل المشهور دليل الحدوث فيقول :
 (ان الحوادث في العالم ، سواء أكانت من الذوات أو من الافعال ، لا يد لها
 من أسباب متقدمة عليها ، وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضاً فلا بد له
 من أسباب أخرى ، ولا تزال تلك الأسباب مرتتبة حتى تنتهي الى مسبب
 الأسباب ، وموجودها ، وخالقها سبحانه لا اله الا هو . .

أما البحث الثالث :

فيتكلم فيه من ابن طفيل وآرائه التي ضمنها قصته (حي بن يقظان)
 ويرى المؤلف أن ابن طفيل لولا مجاراته لابن سينا وغيره على أوهامهم في
 مراتب الصدور لكانت قصته تعتبر قصة الحق أو قصة العقل الذي عرف كيف
 يتدرج في مسالك المعرفة حتى عرف الله والحق والخير والجمال .

ويقدم لنا خلاصة موجزة لانكار هذه القصة موضحاً فيها الحقائق التي
 أراد أن يصل اليها من خلال مؤلفه هذا وهي كالآتي :

أ - المراتب التي يتدرج بها العقل ، في سلم المعرفة ، من المحسوسات الجزئية إلى الأفكار الكلية .

ب - أن العقل الإنساني قادر من غير تعلم ولا إرشاد على إدراك وجود الله بآثاره في مخلوقاته ، والقائمة الأدلة الصادقة على ذلك .

ج - أن هذا العقل قد يمشيه الكلال والمجز في مسائل الأدلة ، عندما يريد تصور الأزلية المطلقة ، والعدم المطلق ، واللا نهاية ، والزمان والقدم والحدوث وما شاكل ذلك .

د - أن العقل سواء ترجح لديه (قدم العالم أو حدوثه) فإن اللازم من كل واحد من الاعتقاديين هي واحد ، هو وجود الله .

هـ - أن الإنسان قادر بحقله على إدراك أسس الفضائل ، وأصول الأخلاق العملية والاجتماعية والتعلمي بها والخضاع الشهوات الجسدية لحكم العقل من غير أهمال لحق الجسد أو تفريط فيه .

و - أن ما تأمر به الشريعة الإسلامية وما يدركه العقل السليم بنفسه من الحق والغير والجمال يلتقيان عند نقطة واحدة بلا خلاف .

ز - أن الحكمة كل الحكمة هي فيما سلكه الشرع من مضاهية الناس على قدر عقولهم ، دون مكاشفتهم بحقائق الحكمة وأسرارها وأن الغير كل الغير للناس هو في التزام حدود الشرع وترك التعمق (٤)

المبحث الرابع :

يتحدث فيه حديثا مستفيضا عن الغزالي وأسباب شكه الذي عاش فيه فترة من الزمن ، ثم مكلفه على كتب الفلسفة بفقد أرواحهم ويطلق عليهم ويرافع عليهم معاول هذه - - حتى قيل في ذلك العصر : لن تقوم للفلسفة قائمة بعد هذا الهجوم (٥)

وكما دافع المؤلف عن الغزالي وقدم الكثير من أدلته في نقض المكسار

الفلاسفة وأتباعهم ، شهر قلعه للدفاع عن ابن رشد ، وأخذ يثلمس له
الاعتذار في أقواله ومعتقداته -

فيذكر أن مآقده ابن رشد من أفكار وأراء ليست كلها له ولكن بعضها
لأرسطو ، وبعضها من أغلاط الترجمة التي تردى فيها ابن رشد ويرجع
اخطائها لشدة إعجاب ابن رشد بأرسطو -

ثم يعود في النهاية إلى لومه والنفس إلى أعماقه عندما يقول : إن ابن
رشد لم يكن مخلصا كل الاخلاص في وضع كتابه (تنهايت التهافت) ولم يقصد
به إبطال الحقائق التي دافع عنها الفزالي ، بل أراد اظهار خطئه في طريقة
الاستدلال وتقصيره في فهم مقاصد الفلاسفة ، ويصل في النهاية إلى قوله

وكان رحمه الله في غنى عن هذا اللعن والتطويق مع رجل يدافع عن
الدين ويصفه بأنه كان في هجومه على الفزالي أصبه بتاجر يريد أن يكسب
بضاعة جاره لتروج بضاعته ، وما هذا شأن المتاجرين في مرضاة الله وجهاد
في سبيله -

وفي نهاية هذا البحث يقدم لنا المؤلف ما يشبه الاعتذار على لسان ابن
رشد بقوله :

(ويشبه أن يكون المختلفون في هذه المسائل المويضة ، أما مصيبيين
مأجورين ، وأما معطلين معذورين ، فإن التصديق بالشيء من قبل الدليل
القائم في النفس هو شيء اضطراري ، لا اختياري ، وإذا كان شرط التكليف
الاختياري فالمصدق بالخطأ من قبل شبهة عرضت له إذا كان من أهل العلم
معذور) (٦)

ويصل من ذلك إلا أن كل المقول السليمة تتفق في مجال النظر العقلي
المخلص المبرأ من شوائب الهوى على الاعتراف بوجود الله وعلى الاقرار
الصريح بأنه واحد لا يتمدد ولا يتحول وتتفق في طرق الاستدلال على هذا
الحق الذي لا ريب فيه (٧)

المبحث الخامس :

في هذا المبحث يتكلم عن مجموعة من مفكري الغرب أمثال باكون ،
وديكارت وباسكال ، ومالبرانش ، وسبينوزا ، وليبنتز ، وهيوم ، وكاانت ،
وبرجسون .

ويرى المؤلف أن هؤلاء الفلاسفة تتلاقى أفكارهم مع أفكار فلاسفة
المسلمين في نقطتين :

الاولى : الإيمان بالمثل .

والثانية : الإيمان بوجود الله ووحدةانيته .

ثم يستعرض هذه الأفكار ويقدم لنا أدلة هذا التلاقي (باكون) يرى
أن أول خطوة في الفلسفة يجب أن تبدأ بها هي دراسة القوانين الخاصة
لنتنقل منها الى دراسة القوانين العامة ، ولا تزال نتراقى حتى نصل الى
القانون العام الأكبر .

وهذا ماذهب اليه الفيلسوف العربي ابن رشد الذي يرى أن معرفة الله
تأتي عن طريق دروس الجزئيات من آياته في مخلوقاته .

ويتلاقى ويكون مع القرآن على الإيمان بالله والمعجز عن إدراك كنه ذاته
سبحانه عند النظر في حقيقة ذهابه فيقول :

(أنه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة يستطيع أن يصرف كل شيء
عن حقيقة ذهابه واحدة ، وغواصها ، فضلا عن أن يعرف كنه ذات الله فكأنه
يقول قول الله تعالى :

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله
إن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يستنجسوا شيئا فيستنجسوا منسبه
ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز (٨)

وديكرات مسجوح اليقين من الشك ، وجعل من نفس اشك سيلا لاشك
وجود الله ومعرفة صفات كماله بقوله .

(ان موجود غير اوجدني ومن خلقتي ؟ سي تم اخلق نفسي فلا بد
لي من خالق وهذا الخالق لابد ان يكون واجب الوجود وغير معتقر الي من
يوجد او يخلط له وجوده ولا بد ان يكون متصف بكل صفات الكمال وهذا
الخالق هو الله بازيده كل شيء)

لما اشبهه بالمرائي في شكه ويظنه ؟

ان ديكرات استدلل بنفسه وبالعالم على الله وكفاه ثم استدلل بوجود
الله وكفاه على صدق لعتون وعلى وجود الله فانه له دلائل وشاهد
على مخلوقاته فصدق عليه في هذا قول الله تعالى :

(سرهم اياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يبين لهم انه لهم رب او لم
يكن ربهم انه على كل شيء شهيد) (٩)

اما بانكر فيقول ان لعواس تدع والمقل يخطي ونكس بالقلب
وحده يعرف الحق فبالقلب يعرف المبدى الاولى ومضى لزمن والمكس
والحركة ، والمقل اسأ يؤسس ادراكه على هذه المعارف التي هي قسرية
اولية ، ونو اردنا اسرها عنيها لوجب ان نعرض وجود قصايا اخرى سابقة
ونو قلنا بذلك لذهب بنا التسلسل ، ولما أمكن الوصول الى قصايا اولية
فبالقلب يدرك هذه الحقائق وبانفس يدرك وجود الله (١٠)

وباسكال لهذا يتلاقى مع انصاراي وابن سينا حين يقول

(ان ادراكا لوجود الله ، هو من الادراكات الاولى التي لا تحتاج الى
جمل اسرار هي المغلفة فانه كان يمكن ان لا يكون لو كانت أمي ماثلة قبل ان
اولد حيا فلسف دأ كذا واجب الوجود وبست دائم او لانهائي فلا بد من
كثير واجب الوجود ، دائم لانهائي يعتمد عليه وجودي ، وهو الله الذي يدرك
وجوده ادراكا اوليا بدون ان يتورع في جمل امر حين لمقدبة ، وبكى اندين
لم يقدر بهم هذا الايمان لعلي ان يسعوا للوصول اليه بعقولهم -

وفي هذا يلتقي بانكزال حكمته الاجتماعية التي هي أشبه بكلام المارفين حيث يقول :

(هناك صفات من أساس فقط يحور أن نسميها عقلاء . وهم الذين يخدمون الله جاهدين لأهم يعرفونه . والذين يحدون في أسوأ من أنهم لا يعرفونه) (١١)

أما لو كان الله يفرق بين درجتنا لوجود الله ودرجتنا لانوار العيب ويرى أن معرفتنا بوجود الله هي معرفة بربانية تقوم وتركز على أساس المعرفة البيديهية .

أما الأمور العسية الأخرى كالبحث في كنه هذا العالم وكنه الروح وحقائق الاشياء في ذاتها فإن لو كان يجب عليها بحكمة نجد بأصحاب العقول أن يتعرفوا عليها من ذلك قوله

(لو بحث الناس من قوهم لفهمية بحثا جيدا ، وكشفوا من لافق لدي يقص بين الأجزاء المصينة والأجزاء المظلمة وميروا بين ما يمكن فهمه وما لا يمكن لأشخاص إلى جعلهم في الغالب المظلم ورسو به والاستحسان . أفكرهم وأبحاثهم في الحبيب الآخر انهم ما أصبح وأثبت على الاطمينان . .

وهذا الكلام الذي يقوله (لو كان) يكاد يتفق مع ما ذكره البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة »

أ فكيفنا معرفة الموضع الذي يلمع انشعاع ولا يحتاج إلى ما لا يلمعه وإن علم في ذاته فما لا يلمعه انشعاع لا يدركه الأشخاص وما لا يحس به فيفس معلوم) (١٢)

أنا (برجنور) فإنه يتكلم من نظام الروحانية) في الكون والعبادة ليرد به على أصحاب المذهب المادي أولئك الذين يقولون يتكون الصلائق بطريق المساعدة - فأنهم الله - والانشعاع الطبيعي . وفي رده عليهم ذلك على أساس مذهبهم وسحر من تهاافتها بقوله

(كيف تستطيع عقولنا أن تصدق أنه بطريق المصادفة والتطور والانتخاب الطبيعي قد تكونت حاسة الابصار عند جميع الحيوانات ؟)
 أن تكون العين بتركيبها المعجب العريب لمعد قد نشأت من أداة مباشرة .
 ومن أول أسرها على هذه الصورة المتكاملة . وإذا أحدا بمذهب انتعشور ،
 وقلنا مع إقنائلين أن حاسة الابصار عند جميع الحيوانات تكونت وبلغت هذا
 الكمال بعد سلسلة من التطورات العديدة بسبب ناموس الانتحاب الطبيعي
 وتأثير البقية والظروف والأحوال التي تكسب الحيوان قبل يستطيع أن يقع
 عقلا سيما بأن الأدوار والظروف والأحوال التي مرت بها عين الأسماك ،
 تطابق تمام المطابقة الأدوار والظروف والأحوال والمؤثرات التي مرت بها
 عيون جميع الحيوانات - - ؟

أن الانتحاب الطبيعي يسي على المصادفة لأن إقنائلين به يرحمون أن
 الحي يقع تحت تأثيرات مختلفة . ولكن مذهبهم هذا الذي من مؤثرات لا يمكن
 أن يمتنع به أنه لكل الأحياء بل لابد من اختلاف في العوامل المؤثرة ولا بد في
 النتيجة من اختلاف في تكوين حاسة الابصار فكيف يفتل أن يتم بالمصادفة
 تطور حاسة الابصار وتكونها في جميع الحيوانات على صورة واحدة ؟

ومن هنا ينتقل (بوجسون) إلى (نظام الزوجية) ويريد في تهكمه
 على الماديين حيث يقول :

(وإذا سمنا جدلا بأن المصادفة السحرية المعجسة جشرة لوقوع في
 تكوين حاسة ابصار واحد في جميع الحيوانات . وهما على أساس سبيل
 القضاة بموسا أن الحيوان سرجع على كل حال إلى نوع واحد . فمباد
 يقول في السات وهو نوع آخر يسير في طريق مختلف كل الاختلاف عن طريق
 الحيوان . ذا نحن رأيناها متعقبين في طريقه واحدة من طريق لعية ؟

ما مرى أن لسات والحيوان يتنعم طريقا واحد في عملية لتأصل
 فكيف اتفق أن اخترع الحيوان المذكورة والاسوة . ووقع السبت إلى الطريقة
 نفسها ، وبالمصادفة نفسها ؟

كلا أنه يستحيل أن يكون هذا الأساس الزاهي الذي يسمونه (الانتحاب
 الطبيعي) أساسا لهذا الانتعاش . ولا بد أن يكون في جميع أجراء الوجود مهما

تنوعت أرواحه ، واختلفت أجسامه قوة متشابهة هي الحياة وهذه الحياة هي التي تدرج وتغير وتعدل ، والتطور يتم بقوة هذه الحياة لا بقوة المؤثرات الخارجية وغالب هذه الحياة هو الله تعالى .

المبحث السادس

وفي هذا البحث بالذات يحاول المؤلف أن يمشي مع كتاب الله سبحانه وتعالى فترة طويلة يتقدم لها في النهاية سحلا متكاملا من الآيات أمثلة التي تدل على وجود الله وتشير إلى عظمته في الكون والحياة ، لهذا سبى من ذلك توجه إلى علماء الإسلام موضوعا لهم حقيقة رسالتهم ، وسببا لهم مدى حدود المسؤولية الملقاة على عاتقهم بقوله :

(ليس المروء في علماء الدين أن يكون علمهم قاصرا على معنى الاصطلاح لمفقه لدي يرد به استساض أحكام لمبادئ والمعاملات بل الفقه هو انهم لكل شيء ولكل ما في الدين من أسرار وحكم وأحكام وأول ما يجب أن يفهم هو كلام الله ، وأول شيء يجب أن يفهم من كلام الله هو الآيات الدالة على وجود الله . وهذه الآيات لاتعبر عنى لوجه الاكمل إلا إذا اختلف على ما في لكون من أسرار لعق ، والنظام والأحكام والاتقان لعلماء الدين هم أولى أساس بالاطلاع على أسرار لعلم ، ولا يصدق عليهم (المصغر) الوارد في قوله تعالى .

(إنما يخشى الله من عباده العلماء)

بهذه الآية لم ترد في سياق لكلام عنى أمر يتعلق بالعادات أو معاملات أو الأخلاق ، بل وردت في سياق الدلالة على قدرة الله وحكمته في سرائر العلم وعلمه استاتات وانجيوبات عنى اختلاف أرواحها وآرائها حيث يقول الله تعالى

(أم تر أن الله أرسل من السماء ماء فخرجنا به ثمرات مختلفه ألوانها ومن أشجار جهنم يخرج ثمرات مختلف ألوانه وأخرى سود ، ومن لسان

والمدواب والانسام محتف الزائنه كذلك . اما يحق الله من عباده
العلماء (١٣)

المبحث السابع : بعنوان في الافاق

ويكاد يكره هذا المبحث من اهل مباحث الكتاب يتكلم فيه من قدرة الله
في الافاق . وهذا ذلك بالسموات ويستعرض فيه آيات الله سبحانه وتعالى
ثم يعقب ذلك ببحر ابحاث العلم والعلماء وتصوراتهم ورؤسدهم للثبوت
المباركة والابداع الخفى للذي اتفق كل شيء حقيقه وكل شيء عده بمقدار
وصدق ربي في قوله :

(والسما ينبتهاها بأيدي وانا لموسعون) (١٤)

واذا كانت السماء لا ترى منها غير هذا اعيان المسوط فوقها . وما
أودعه الله فيها من كواكب ونجوم *

كان الارض المسومة والجمال المرفوعة . والبحار الموضوعة . والانهار
المجارية . وما فيها من رروح وبحيل سموات وغير سموات يسقى بدم واحد
وتحتف في الاشكال والالوان وتتبدل في الازمان والطعوم بدليل على العالق
المبدع التقدير الحكيم الذي قال في معكم كتابه :

(والارض مددناها والقينا فيها روحي واسيت فيها من كل شيء
مورود) (١٥) ثم يتكلم من قدرة الله في خلق القمر ويوسع هذه الحسابات
الدقيقة لكل كوكب من الكواكب بقوله :

(لو كانت المسافة بين القمر والارض اقل مما هي او اكثر . او كان
حجمه اكبر مما هو او اصغر . او كانت دورته اطول او اقصر . لاختل هذا
النظام كله بل ربما زال القمر كله . لانه لو قرب من الارض لراد جديده
فأصبح المد على الارض طافيا يعمر اليابسة كلها . ولو تراهد هذا القرب
جديده الارض فوقع هبها ولو بعد من الارض لتعطل عمل المد والحرر بقمه
اصعب وان راد ليمد جذب القمر كوكب اخر اليه وحربا من بعده . ولو
كبر حجمه لرادت قوة جذبته ولو صغر ثقثت ولو كانت دورته مثل دورة
بقية التتابع قصيرة قصيرة في ساعات او سويمة طويلة في سنين لاختل هذا

المظالم الذي جعل الله لنا به القمر حساما وعاد شهريا القمري أسودا أو
سويا -

وصديق دهي قوله .

(وهو الذي جعل الشمس صياء والقمر يورا وقدره مادل لتعلموا عدد
السين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق بفصل الآيات لقوم يعلمون) (١٦)

انها رحلة مع الدهر الدكي وتعلق الاعمي الذي طوف سا في عقول
العلماء والمكرين وبين ثابا الكلب وأعيان الموسوعات وكان دليله في كل
ما كتب كتاب ربه وفرقان المرير المعدل وكان لرحلته هذه غاية جعلها حصه
عبيه ، وانما وهو يحفظ كل كلمة ، ويحفظ كل حرف - - ثم عاد جواب
الأفلاك بهذه النتيجة التي توصل اليها -

ان الحشيش يحتشون عقلا ودكاه وصرا وجلدا فسهم العاقرة الاقوياء
الذين يكايدون ليل الشك حتى يصل بهم التفكير السليم الى صبح اليقين
فلا يصابون بسد يتيقن بشت ميه لا يحدث تناقضا عقليا مع هذا اليقين الذي
أدركوه ، وسهم الضمضاء الذين تروح عقولهم تحت عبء الشكوك فيقف بهم
التفكير في العقاب الصعاب وتتقطع بهم الهم دون اقتحامها فيجسسون كسل
العقل عن تصور الشيء حجة على امكان تعلقه أو ينعدون من غموض الحكمة
في فرع من فروع الحق والتدبير سما لتشت في الاصل الذي يشهد على اليقين
فيقومون حائرين بين وبين العقل وحده كما قل تعالى

(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات لا يبصرون) (١٧)

وايضا يكاد برق يحطأ اصابعهم كسا اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم
عليهم قاموا) (١٨) وجمدوا امام شكهم وقالوا لا يدري -

وتوصل ايضا عن طريق المقارنة على ان لادلة العقلية التي ذكرها
القرآن على وجود الله والادلة التي ذكرها الملازمة والعقيدة من المسلمين
وغير المسلمين واستدلوا بها على وجود الله ووحدانيته وجميع صفات كماله

على أن الحق واحد ، وطرق الاستدلال عليه واحدة ، سواء أكان اعتناء العقول
 بالتمكيز قدما في نفسها ، أم قسما من القرائن ، فهذا التلاقي بين وحى العقل
 الذي خلقه الله لنا ، ووحى القرائن الذي أرسله الله عليه ، دليل قاطع على
 أن الدين الحق لا يتنافى ولا يتعارض مع لعقل في شيء أبداً ، وفي النهاية
 يجب أن نقول أن هذا الكتاب دعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد المسرود
 الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحداً *

والإيمان بالله هو :

أبى المضائل

ولجام الرذائل

وقوام الضمان

وسند الغزائم في الشدائد

وبلسم الصير عند المصائب

وعباد الرضى والفتاة

ونور الأمل في الصدور

والعروة الوثقى بين لاسامية ومشها الكريمة في كل زمان ومكان .
 فمضى تعرف الشريعة هذا الطريق لتعود السير فيه ٠٠ ٠

حتى يارب ٠٠ ؟

أقوال العلماء في هذا الكتاب :

قرأت كتاب (قصة الايمان) وأنا متعجب كل التعجب بما حواه من عبر رائعة وحكم بالغة ، ففصت في أمثاله ، ووقعت على درره ، وما دورره وما بلغت نهايته ، حتى خرجت وأنا موقن أن هذا الكتاب يوضح الطريق المستقيم للجيل ، ويظهر معالم الدين الحنيف وقابليته للتطور والمدنية ، بالحدود التي رسمها القرآن الكريم ، وبأليات المسلمين يتخذونه نبراسا يضيء لهم معالم الطريق .

سمو الامير فهد الفيصل

قضيت مع هذا الكتاب بضعة أيام كانت سياحة عقلية عميقة الاشر بعيدة المدى عدت بعدها الى نفسي وأنا غرار القلب واللب بشعائر اليقين ولوازع المعرفة ، ثم أحسست بأن هذا الكتاب ليس تراثا فكريا خاصا قدير ماهو جهاد خالص للنصرة الحق واعلاء كلمة الله فقررت أن أشرك معي في الاطلاع عليه علماء المساجد في القاهرة كي يستبينوا ما رسم من مناهج اليقين وطرائق الوصول الى الله جل جلاله

محمد الغزالي

وليس الحق ماظن أن القضية الايمان الذي يعيشه اليوم كالغريب بين تيارات الزيف والالحاد وجاهلية العلم يمكن أن تخدم بمثل ماخدمها هذا السفر الجليل الذي جاء وفاء كفاء لحاجة العصر في الفكرة والأسلوب وساعرض على كلية الشريعة بدمشق أن تطبعه وتجعله منهول روادعا -

دكتور / مصطفى الزرقا

وهنا يقف بنا مؤلف الكتاب ولغات لا ليثبت مآلي القرآن من علم وانما ليثبت حاجة المؤمن الى العلم ليفهم القرآن ويتعقبه ، ولا ليثبت لنسا مآلي القرآن من فلسفات وانما ليثبت المنهج الاستدلالي في القرآن ويشخصه ويشرحه على المناهج الفلسفية في أرقى عصورها وجوهر حقيقتها فاذا النتائج مذهلة -

دكتورة / سهير القلماوي

كتاب (قصة الايمان) يشتمل فيه أسلوب الاديب ، ومنطق الفيلسوف
 ووجدان المؤمن ، فمن أجل ذلك قررنا أن يكون فيه امتحان القبول للدراسات
 العليا شعبة العقيدة والفلسفة ، ثم قررنا أن يكون فيه امتحان القبول في
 جمعية الدعوة والارشاد فعلنا ذلك تقديرا للعلم وأهله .

د • عبد الحليم محمود

أعترف بادعى ذي يدم أن كتاب (قصة الايمان) ليس من الكتب التي
 تقرأ على عجل ويستوعبها القارئ في بسملة ويسر ، وإنما هو كتاب يجب
 أن يتزود له من مطالعته بكل طاقاته العقلية والروحية والوجدانية .

د • بنت الشاطي

أقول لصاحب كتاب (قصة الايمان) أنك فتحت به طاقات من نور
 المعرفة والايمان وأرسيت به قواعد اليقين في نفوس الناشئة والناضج وأزلت
 به الكثير مما علق في أذهان الناس من تشكك وزيف

ولا عجب أن أقف في قصة الايمان على علم غزير ، وعقل حصيف وملكة
 مزودة بفنون المعرفة والادب والعلم ، كما أنه لا عجب أن أقرأ فيه لغة رفيعة
 وأسلوباً مبسطاً . وقد أثلج صدري أن أقرأ لسماحتكم كتاباً من الطراز الرفيع
 يدافع عن العقيدة الإسلامية بأسلوب سهل لا يرتضى عصرنا سواء ، ولا غنى لنا
 عن مثله .

حسن خالد

مفتي الجمهورية اللبنانية

هو كتاب يؤلف بين العلم الاسلامي الواسع ، والايمان العميق وانظر
 الفيلسفي تأليفاً يديهما مبتكراً ، ويجدر بالاساتذة وطلاب الجامعات أن يطالعوه
 ويتأملوه ، وسأذكر للطلاب في جامعة دمشق وأنصحهم بالرجوع اليه .

د • عبد الكريم اليافي

ثبت بالمراجع :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - صحيح الإمام البخاري
- ٣ - صحيح الإمام مسلم
- ٤ - مقدمة ابن خلدون - تحقيق د . علي عبد الواحد والي
- ٥ - قصة حي ابن يقظان - تحقيق د . عبد الحليم محمود
- ٦ - مناقب الدولة في مقامه الملك - لابن رشد - تحقيق د . محمود قاسم
- ٧ - مقاصد الفلاسفة - للغزالي - تحقيق د . سليمان دنيا
- ٨ - نهايات الفلاسفة للغزالي - تحقيق د . سليمان دنيا
- ٩ - الاشارات لابن سينا - تحقيق د . سليمان دنيا
- ١٠ - تحقيق مالهوت من مقولة : للبيروني - تحقيق عبد الحليم محمود
- ١١ - قصة الفلسفة الحديثة - د أحمد أمين - وكي تريب محمود
- ١٢ - قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - توفيق الجبر
- ١٣ - ابن رشد - تأليف د . محمود قاسم
- ١٤ - قصة حي ابن يقظان - لابن سينا - تحقيق د . أحمد أمين
- ١٥ - جريدة الاحرام المصرية الصادرة في ٢٧ - ٢ - ١٩٦٢
- ١٦ - مجلة المجتمع العلمي العراقي
- ١٧ - مجلة حضارة الاسلام
- ١٨ - مجلة دعوة العقل المغربية
- ١٩ - مجلة المدينة المغربية
- ٢٠ - مجلة المسلم لسان المنيرة المعبدة - القاهرة
- ٢١ - مجلة المدائن الاسلامي - دمشق

المواضع

- ١ - سورة فصلت آية رقم ٥٣
- ٢ - مقدمة ابن خلدون
- ٣ - المصدر السابق - تحقيق علي عبد الواحد وافي
- ٤ - قصة حي بن يقظان - تحقيق د . عبد الحليم محمود
- ٥ - التفكير الفلسفي للإسلام - عبد الحليم محمود
- ٦ - مشاهير الأدلة في عقائد الملة - لابن رشد تحقيق د . محمود قاسم
- ٧ - ابن رشد - د . محمود قاسم
- ٨ - سورة الحج آية رقم ٧٣
- ٩ - سورة فصلت آية رقم ٥٣
- ١٠ - قصة الفيلسوف العنيفة
- د . أحمد أمين - وژكي نجيب محمود
- ١١ - قصة الإيمان بين الدين والملم والذلة - تدمر الجسر
- ١٢ - تحقيق مالهتد من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة - للبيرولاني
- ١٣ - سورة طاهر آية رقم ٢٨
- ١٤ - سورة الذاريات آية رقم ٤٧
- ١٥ - سورة الحجر آية رقم ١٩
- ١٦ - سورة يونس آية رقم ٥
- ١٧ - سورة البقرة آية رقم ١٧
- ١٨ - سورة البقرة آية رقم ٢٠